تنبيه المسلمين
من ضلالات
يوسف القرضاوي

تأليف
الدكتور سيد إرشاد أحمد البخاري
أمين عام مركز البحوث الإسلامية
في بنغلادش

داكا ـ بنغلادش

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على السيد السند صاحب القول الفصل الذى لا اجتهاد في مورد نصه، ولا فهم يزيد على فهمه، سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه.

أما بعد فإن ديننا هو أغلى ما عندنا، تمسُّكُنا به عزٌّ وابتعادنا عنه خسران وذل، فقد رُوي عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله» إهـ، وليس معنى التمسك بالإسلام إلا الإيمان به والعمل بأحكامه واتباع أوامره واجتناب نواهيه في اليسر والعسر في حال الرخاء وفي حال الضيق والشدة فيكون الحكْمُ الشرعىُّ إمامًا والرأي تابعًا ومأمومًا كما قال رسول الله: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»** رواه البغوي في شرح السنة والنووي في الأربعين النووية.

ونحن المسلمين نؤمن يقينًا أن قواعد ديننا تصلح

للتطبيق إلى يوم القيامة لا تتغير القواعد مع الزمن ولا يجوز تبديلها ولا تحويرها مع تبدل الأحوال وذلك لأنها تحتوي الإرشاداتِ الكافية الملائمة لمختلف الظروف والأوضاع، ولأنه لو فُتح هذا الباب لزالت رسوم الشريعة وعفت ءاثارها.

وقد قام بعض الناس في زماننا ممن ينتسب إلى العلم بولوج هذا البابِ المحظورِ وُلُوجُه وسلوكِ طريق المهلكة هذا تحت دعوى تجديد الفقه والحاجة إلى تطويره بما يتناسب مع العصر، فغيّروا في العقيدة الإسلامية وحرفوا في أركانها ووجهوا معاول هدمهم إلى أصول الفقه الشريف وأسسه وأدلته وأحكامه مستخدمين في ذلك الجرائد والمجلات والكتب والإذاعات وبرامج التلفزيون والمحاضرات، ناشرين شواذ الفتاوى تحت ستار الاجتهاد ومقلدين لأغلاط صدرت من بعض من سبق فَنَّدَها أهل العلم وبينوا فسادها، مريدين إعادة نشرها وإشاعتها فرأينا لزامًا علينا النهوض بمواجهة هذا السيل قبل أن يتحول طوفانًا جارفًا.

ولما كان قائد هؤلاء الشُذّاذ في عصرنا وزعيم المتفيهقين منهم رجلًا مصريًا يُدْعَى **«يوسفَ القرضاوي»** ظن أن شهادة الدكتوراة التى حصلها رفعته إلى مصافّ

المجتهدين في حين أنه بعيد عن المبلغ الذى يستأهل به درجة الاجتهاد، إذ تلك الدرجة لها شروطها التى بَيَّنَهَا علماء الأصول وهو خال عنها. وإنما هو عند الفقهاء يُعَدُّ من العوامّ إذا ما وُزِنَ بتلك الموازين، والمناظرة بيننا وبينه إن ادعى أنه فوق ذلك وقديمًا قيل عند الامتحان يكرم المرء أو يهان، ومع هذا هو يكثر من الكلام والتأليف فيستخف عقول الناس ويستجهلهم بإيراد مسائل لا يخفي فسادها على العامة فضلًا عن أهل العلم فيها كفر وضلال ومعصية، لذلك رأينا أن ننشر ردًّا مختصرًا عليه لم نقصد فيه استيعاب ضلالاته ولا ذكرها كلها وإنما قصدنا التنبيه على خطره والتحذير منه ومن أمثاله عملًا بأمر الله تعالى بالنهي عن المنكر فإن النهي عن المنكر حياةُ الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء، وحتى يعلم هو وأمثاله أنَّ الغَيْرَةَ على الدين لم تنقطع من بين أفراد الأمة وأنَّ الساحة لم تخل ممن يقف له بالمرصاد.

وقد كنا نود لو أن الدكتور القرضاويّ سمع النصح ورجع عن مخالفاته للشريعة وأناب وبيَّن هو ذلك للناس إذًا لصرفنا الجهد إلى باب ءاخر ولتعاونًا معه على الخير والبر، وقد نصحه بعض أهل العلم سرًّا وعلنًا، وألف

بعضهم في الرد على بعض مسائله كتابًا مستقلاً كما فعل الشيخ عبد الحيّ الغماريّ رحمه الله للرد عليه في تجويزه أكل اللحوم التى لم تذكّ شرعًا، وسمع الانتقاد لكلامه على صفحات الجرائد ومن على شاشات التلفزيون ولكنه أبى وعاند واستكبر، فلم يعد يسعنا إلا إظهار عواره حماية للدين وذبًّا عنه، فإن العاقل لا يترك بيته الذي يُكِنُّهُ ويُؤوِيه فريسة **«للقوارض»** تهدمه عليه، وقديمًا قيل ءاخر الدواء الكَيّ.

وقد سمينا هذه العجالة **«تنبيه المسلمين من ضلالات يوسف القرضاوى»** وجعلناها مقسمة إلى فصلٍ في بيان ضلالاته في العقيدة، وفصلٍ في بيان ضلالاته في الفروع، وخاتمةٍ في خلفيته الحزبية والثقافية وارتباطاته المشبوهة وجهله بعلم الحديث وبطلان دعواه للاجتهاد، والله الموفق وهو من رواء القصد وبه الحول والقوة وعليه التكلان.

فصلٌ
في مخالفة القرضاوى للعقيدة الإسلامية

ـ **المقالة الأولى**: قال في كتاب «العبادة في الإسلام» في الصحيفة الثانية والستين منه من الطبعة الحادية عشرة ما نصه: **«الله وحده لا في جوهره وحسب بل في الغاية إليه أيضًا»** إهـ.

قلت: لا يجوز تسمية الله جوهرًا ولا عرضًا كما نص علماء الدين قاطبة، قال الإمام أبو حنيفة عن الله تعالى: «ولا نَصِفُهُ إلا بما وصف به نفسه» إهـ. والله لم يُسَمِّ نفسه جوهرًا ولا وصف نفسه بالجوهر إذ الجوهر في اللغة هو الأصل والله ليس أصلاً لغيره ولا فرعًا عن غيره، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وفي الاصطلاح: الجوهر هو الجزء الذي تناهى في الصغر والله متعالٍ عن ذلك. فإن عرف القرضاوي معنى الجوهر ومع ذلك أطلقه على الله فتلك مصيبة، وإن لم يعرف وأطلقه على الله فتلك أيضًا مصيبة إذ كيف يتجرأ أن يسمي الله باسم لم يُنْزِلِ الله به من سلطان، فمثله يحتاج أن يتعلم قبلَ أن يتكلم، فتسمية القرضاوي لله

جوهرًا تكذيب لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، قال الإمام النسفي: «وردُّ النصوص كفرٌ»، وقال الإمام الطحاوي السلفي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

ـ **المقالة الثانية**: يقول في نفس الكتاب السابق في الصحيفة الثانية والأربعين بعد المائة: «إن التبرك بآثار الصالحين وبقبورهم بعد مماتهم هما أوسع أبواب الإشراك بالله» إهـ.

أقول: قد ثبت في صحيح مسلم وسنن الترمذي ومسند أحمد وغيرها من كتب الحديث تبرك الصحابة بآثار النبي عليه الصلاة والسلام في حياته وبعد موته ولا زال المسلمون بعدهم إلى يومنا هذا على ذلك، وقد كان ثابت البناني يتبرك بتقبيل يد أنس لأنها مست يد رسول الله ﷺ كما هو ثابت في مسند أبي يعلى، وفي سنن البيهقي أن بعض الصحابة قصد قبر النبي ﷺ طلبًا للبركة بالسُّقيا، وقال الإمام المجتهد الورع أحمد بن حنبل عن صفوان بن سليم «تنزل الرحمة بذكره»، وقال أيضًا: لا بأس بمس القبر النبويّ والمنبر للتبرك.

فعلى زعم القرضاوي شَرَعَ لنا رسولُ الله الشركَ وسنَّ لنا أصحابه ذلك وتبعهم سلف الأمة عليه، وحاشا، بل هم القدوة وخير قرون الأمة، ومن كفَّر من يتّبعهم وينهج نهجهم فهو الكافر.

ـ **المقالة الثالثة**: ينقل القرضاوي في الصحيفة الحادية والثلاثين بعد المائتين من كتابه السابق قولَ بعضهم إن وحدة الذات المحيطةَ بكل شىء التي تخلق جميع الذوات وتكتب لها البقاء هي التى تصدر عنها الوحدة الضرورية لجميع البشر، ويُقِرُّ ذلك.

أقول: المسلمون يعتقدون أن الله فاعل بالاختيار لا بالطبع والضرورة كما يقول فلاسفة اليونان، والعبارة المنقولة عن كتاب القرضاوي فيها موافقة صريحة لعقيدة الفلاسفة إذ يزعم أن هناك وحدة ضرورية بين جميع البشر، فإنْ عنى الوحدة في العقيدة والطريقة والنهج فهو الكَذِبُ المكَابِرُ للعِيان، وإن عنى الوحدة في الشكل والتقويم فإنَّ وحدانية الله لا تقتضي بالضرورة أن يكون البشر متشابهين إذ لو شاء الله لجعلهم على تقاويم مختلفة فإنه يفعل ما يشاء وهو على كل شىء قدير، أقرّ القرضاوي بذلك أم أبى.

- **المقالة الرابعة**: يزعم في العدد الثالث عشر من رسالة التقريب أن الخلاف بين أهل السنة والإباضية الخوارج والمعتزلة القائلين بخلق القرءان وغيرهم من أهل البدع ليس خلافًا في الأساس.

قلت: فإذًا لِمَ سمّى الرسولُ ﷺ الخوارجَ كلاب النار وقال إنّ في قتلهم ثوابًا لمن قتلهم؟ ولـمَ قال إنهم يمرقون من الدين؟ ولـمَ كفّر الإمام أحمد المعتزلة القائلين بمسئلتهم المشهورة في القرءان؟ ولـمَ كفرهم الشافعيّ تصريحًا؟ ولـمَ كفَّرهم مالك وكَفَّر غيرهم من أهل الأهواء ممن بلغ بنِحْلته حد الكفر؟ ولـمَ كفرَّهم الأوزاعي وأبو يوسف وأبو حنيفة وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من السلف والخلف!!؟

فإن كان مثل هذا الخلاف ليس خلافًا في الأساس فما الذي يعتبره «الدكتور» إذًا خلافًا خطيرًا وعميقًا؟!! لعله الخلاف حول مقدار الربا الذي يأخذه من البنك الذي يساهم فيه!!، والله أعلم.

- **المقالة الخامسة**: يقول القرضاوي في العدد الرابع عشر من رسالة التقريب بين المذاهب في الصحيفة الثانية بعد المائة: «إن من شك أو جهل قدرة الله تعالى على ما ظنه محالا لا يكفر» إهـ، واحتج بزعمه بحديث الرجل

الذي قال: «لئن قدر عليّ ربي ليعذبنيّ عذابًا ما عذبه أحدًا من خلقه» إلخ.

أقول: قد جهل القرضاوي أن قول الرجل «لئن قدر عليّ ربي معناه لئن ضيّق وليس معناه الشكَّ في قدرة الله، على أن القرضاويَّ تابعٌ في ذلك لزعيم حزب الإخوان السابق حسن الهضيبي حيث قال مثلَ ذلك في كتابه «دعاة لا قضاة». وكان الأجدر بالقرضاوى أن ينظر في شروح أهل العلم لهذا الحديث لا في كتب الصحفيين وأشباههم قبل أن يتكلم في معناه ولو فعل لرأى أنّ الحافظ الفقيه المفسر ابنَ الجوزيّ الحنبليَّ قال في شرحه لهذا الحديث «إن الشك في قدرة الله على كل شيء كفر إجماعًا» إهـ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في شرحه المشهور على البخاري وأقرَّهُ وقد بسط النووي القول في شرح هذا الحديث وتأويله في شرحه على صحيح مسلم فليراجع. ولكنّ القرضاويَّ عن كل ذلك في عمًى لأجل نصرة فكرته بتساوي أهل الحق وأهل الباطل في أصول الاعتقاد، فالله المستعان على أمثاله.

- **المقالة السادسة**: من عجائب القرضاوى تسميته الله تعالى قوة وعقلاً مدبرًا وعلة وذلك في كتابه المسمى

«الإيمان والحياة» من الطبعة التاسعة عشرة في الصحيفة العشرين وكذا الحادية والعشرين.

قلت: هذا المتعالم جَهِلَ أن القوة صفة لله فلا يجوز تسمية الله قوة كما لا يجوز تسميته علمًا أو وحدانية أو حياة وإنما يقال عليم واحد حيّ أى موصوف بالعلم موصوف بالوحدانية موصوف بالحياة وهكذا، فالله تعالى موصوف بالقوة كما قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، وللكوثري رحمه الله مقالة ممتعة في مقالاته في منع تسمية الله بالقوة.

وأما العقل فهو من صفات البشر بإجماع علماء اللغة والشرع، والعلة معناها السبب وكلاهما مخلوق فكيف يستجيز هذا المدّعي تسمية الله بذلك؟! وقد نصَّ الإمام ركن الإسلام عليّ السغدي الحنفي على تكفير من سمى الله تعالى سببًا أو علة، وقال الإمام الطحاوي السلفي: «ومن وصف الله بمعنى مَن معاني البشر فقد كفر».

والقرضاويُّ تبع في قولِهِ هذا فلاسفةَ اليونان وسيد قطب لا علماءَ الإسلام من سلف وخلف، فإما أن يتدارك نفسه بالتوبة قبل الموت وإما أن يحشر مع من

اتبعهم واتخذهم قدوة، والله يهدي من يشاء.

ـ **المقالة السابعة**: يزعم القرضاوي «أن الله لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة» إهـ، قاله في الصحيفة التاسعة والأربعين من كتابه المسمى «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، ثم أكد كلامه هذا في كتاب المسمى «الإيمان والحياة» فقال في الصحيفة الحادية عشرة بعد المائة: «إن ما يظنه الناس شرًّا في الوجود ليس هو شرًّا في الحقيقة» إهـ.

قلت: لا شك أن الكفر والضلال والفسوق والعصيان والقتل ظلمًا والسباب كل ذلك يحدث بمشيئة الله وعلمه وتخليقه كما قال الله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾، وكما قال ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴿١٢٥﴾﴾، وكما قال جل وعز ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴿٢٥٣﴾﴾، وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿١٦٦﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تدل على أنّ كل ما يحصل في هذا الوجود من خير وشر هو بتقدير الله. فعلى مقتضى كلام القرضاوي يكون الكفر والضلال والشرك